**منهج البحث في علم اجتماع السكان**

**( التعداد)**

**تاريخ التعداد**

يردّ البعض عملية حصر السكان أو عدّهم إلى عام 3000 قبل الميلاد، حيث عرف البابليون أهمية هذا العد كما عرفه الصينيون، وإن كانت طبيعة هذه التعدادات غير معروفة. ويحدد العض عام 1666 كبداية حقيقية لأول تعداد في العالم قام به الكوبيك، ثم أجري عام 1790 أول تعداد في الولايات المتحدة الأمريكية يليه تعداد انجلترا في عام 1801 ثم في الهند عام 1881، وفي مصر عام 1882.

**عالمية التعداد:**

في عام 1960 أخذ حوالي 80% من بلاد العالم بنظام التعداد، بالرغم من أنه قد ثبت عدم دقة عمليات العد في بعض هذه التعدادات، بسبب أنَّ معظمها تتم على أساس تقديرات عدد السكان أكثر منه عدّاَ فعلياً. كما توفر فرص التعداد قد اختلف من مكان لأخر إلى درجة كبيرة. فبينما يقدر البعض أنَّ ثلثي سكان أفريقيا قد توفر لهم فرص التعداد عام 1950 نجد أنَّه تم عدّ 100% من سكان أوربا خلال هذه الفترة.

**تعريف التعداد:**

التعداد عملية إحصائية لها قيمة كبيرة لكل بلد وهو المصدر الأول لحقائق السكانية اللازمة للتخطيط الاجتماعي والاقتصادي على المستوى العالمي والقومي، ويعدّ ضرورياً للسياسة الحكومية في المجالات المختلفة وذلك لتسهيل نشاطها في الحاضر والمستقبل كما أنَّ لها ضرورتها في التحليلات العلمية وتوزيع تغير السكان.

ويعرف البعض التعداد بأنه عملية جمع وتنسيق ونشر للمعطيات السكانية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بكل شخص في بلد ما أو غيرها من المناطق المحددة في وقت محدد أو أوقات معينة. والتعداد عملية مكلفة ويحتاج خطة مسبقة وإعداد وعمل متقن يؤدي إلى إيجاز النتائج.

كما يعرف البعض التعداد بأنه عدّ جميع السكان على المستوى القومي، ويتم الحصول عليه عن طريق زيارة مباشرة لكل شخص أو أسرة يف المجتمع. وهو عملية كبيرة ومعقدة تتم في تأريخ محدد على فترات منتظمة كل خمس أو عشر سنوات. ثم تنسيق الحقائق التي تم جمعها وتنشر بعد ذلك ليستفاد منها في التخطيط الاجتماعي والاقتصادي ووضع السياسات الحكومية وغيرها على المستويات القومية والعالمية.

**أهمية التعداد:**

* تعيين الالتزامات العسكرية والضريبية والعملية للأفراد في المجتمع.
* التعرف على عوامل الهجرة والخصوبة والخصائص الاقتصادية ومحددات الأمن الاجتماعي التي صاحبت التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم البلدان.
* توفير المعطيات حول الخصائص المهمة للسكان والتي تحتاجها الحكومات والمصالح وهيئات البحوث سواء في التخطيط أم السياسة أم التنفيذ أم في مواجهة المشكلات اليومية الملحة وحلها.

**أسس التعداد:**

هناك أسس مختلفة لعد السكان:

* إمَّا عدّ الناس الموجودين في لحظة زمنية معينة وهذا ما يعرف بتعداد السكان الفعلي.
* وإمَّا عدّ الناس الموجودين عادة في مكان معين وهو ما يعرف بتعداد السكان النظري.
* وهناك أساس ثالث لعد السكان يعرف بالأسلوب الكامل أو الصحيح في عد السكان والذي يتبع الأسس المشتركة في التعدادين النظري والفعلي.

**الخصائص الجوهرية للتعداد:**

1- الرقابة: بمعنى أنَّ كل تعداد تراقبه وتجريه الحكومة القومية وأحياناً بالتعاون مع أجهزنها المحلية.

2- الأرض المحددة: بمعنى أنَّ ما يغطيه التعداد لابد ألاَّ يتجاوز منطقة محددة بدقة.

3- الشمول: بمعنى أنَّ عملية العدّ يجب أنْ تشمل كل عضو في المجتمع داخل التعداد بدون حذف أو تكرار.

4- التوقيت: بمعنى أنه يجب أنْ يجري التعداد في لحظة زمنية محددة.

5- الوحدات الفردية: بمعنى أنَّ البيانات تمثل كل فرد بطريقة تساعد على توفير المعلومات حول كل أعضاء الأسرة والجماعة أو مجتمع ككل.

6- الاكتمال والنشر: بمعنى أنَّ التعداد لا يصل شكله النهائي إلاَّ ‘ذا اكتملت بياناته ونشر على الجمهور.

**إجراءات التعداد:**

1. تخطيط التعداد:

يستلزم التخطيط للتعداد مراجعة السلطة الحاكمة من اجل التعداد، وتقدير التكاليف وتوفير الميزانية واختيار الأسئلة التي ستوجه إلى الجمهور ثم اختبار أداة جمع البيانات وتحديد المناطق الجغرافية التي يشملها التعداد ثم التدريب والإعداد وتخطيط النشرات والجداول والاحتياجات وإعلام الجمهور.

1. تنفيذ التعداد:

لابدَّ من التأكد من شمول التعداد وعدم تكرار واكتمال المنطقة التي قصد تغطيتها، ثم تصميم استخبار يشتمل عل التساؤلات التي يراد جمع استجابات حولها، صم إجراء مقابلات مع جمهور المبحوثين بواسطة العدادين، وأخيراً معالجة المعلومات التي تم جمعها للوصول إلى معطيات منظمة ومنسقة يمكن الإفادة منها.

ويدخل ضمن هذه النقطة ما يأتي:

- شمول التعداد:

يبدو أنَّ التباين الكبير وانتشار مواقع الإقامة الإنسانية وتحرك السكان وصعوبة التوصل إليهم يمثل عقبة أساسية في مواجهة الجهود نحو التعداد الكامل أو الشامل. وبرغم الجهود المتتالية والتمويل الهائل لا يزال التعداد بعيداً عن الكمال ولم يتم بعد اكتشاف الأساليب المناسبة لسد هذا النقص، ومع ذلك فالمعطيات التي تم التوصل إليها تعدّ مكتملة بما فيه الكفاية وتصلح لأغراض بحثية متباينة، مع ضرورة تصحيحها حتى يسهل استخدامها في مجالات البحث والإدارة الأخرى,

- تصميم كشف البحث:

ويمثل تصميم كشف البحث أو الاستخبار وإعداد التعليمات اللازمة للإجابة عليه جانباً مهماً من جوانب طرق بحث الظواهر السكانية وأدوات جمع معطياتها. والواقع أنَّ هذه الأدوات تعدّ إلى درجة كبيرة نتاجاً لخبرة ودراية الأشخاص الذين يصممونها أكثر منها تطبيقات لنظم قائمة على إجراءات موضوعية أو محددة بقة.

- المقابلة الشخصية:

وتتمثل في الموقف الذي يحصل من خلال القائم بعملية التعداد على الإجابات التي تثيرها استفسارات البحث لدى المفحوص. ونظهر في موقف المقابلة الشخصية عدة معوقات منها معوقات الاتصال من دوافع وحواجز نفسية واللغة. كما يرجع خطأ الاستجابة في المقابلة الشخصية إلى قيام العداد عادة بجمع المعلومات عن كل أعضاء الأسرة من عضو واحد منها عادة ما يكون عضو المنزل البالغ والذي يسهل وجودة في المنزل عند القيام بعملية التعداد.

- جمهور التعداد:

إذا كان جمهور التعداد يتمثل في كافة السكان أو في إجمالي مجموع السكان في البلد الذي سيجرى به التعداد فإنَّ نوعية المشكلات التي تواجه القائمين عللا أمر التعداد تختلف عمّا إذا كان الجمهور يتمثل في جزء فقط من هؤلاء أو عينة يجري عليها التعداد للدلالة على أحوال الكل. ذلك لأنَّ الأساليب المحددة التي يستعان بها في اختيار أو سحب العينة المناسبة تختلف لاختلاق طبيعة المجتمع والظواهر التي نفوم بدراستها.

- معالجة المعطيات:

الخطوة المهمة هنا هي تصنيف المعطيات وتصميم فئات وأنساق التصنيف يرد إليها الكم الهائل من المعطيات التي تم جمعها وتطويعها لأغراض البحث والتطبيق. والواقع أنَّ عملية التصنيف واحدة من العمليات التي قد يكون لها تأثير حيوي على تحليل المعطيات وعلى الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها فهناك بنود مثل اللون والجنس والحالة الزوجية تثير مشكلات كبيرة فيما يتعلق بتصميم ملائم لها من الناحية النظرية والتطبيقية.

ج- إخراج التعداد:

عادة ما يتم إخراج نتائج التعداد في صورة تقرير مكتوب حتى تتحقق الفائدة المرجوة منه ويظهر تقرير التعداد في صورة جداول إحصائية بسيطة أو مركبة حسب السن والنوع بالإضافة إلى الخصائص السكانية الأخرى اعتقاداً في أنه لا يكون لهذه الخصائص السكانية أية معنى بمعزل عن فئات السن والنوع، حيث تعتمد الحالة الزوجية – مثلاً- على عمر الشخص ونوعه و يكون للعزاب أو المتزوجين أو المطلقين أي معنى إذا فصلناهم عن أعمارهم.

**صعوبات التعداد:**

أولاً- الصعوبات الموضوعية:

* لمّا كان التعداد عملاً لا يقدر عليه غير الحكومة، لذا كانت موضوعاته وبنوده ومعطياته رهن السياسة الاجتماعية التي تحددها الحكومة وتتأثر كذل بما تمليه الحكومة في هذا الصدد.
* توثر العقبات الجغرافية في السفر والتنقل وظروف الجو الصعبة والنفقات والجهد اللازم فيما يستطيع التعداد جمعه من معطيات سكانية.
* يتأثر التعداد بالاختلافات الثقافية والعنصرية ومستويات التعليم بين السكان في مجتمع التعداد.

ثانياً- الصعوبات الذاتية:

* تمدنا المعطيات السكانية التي يوفرها التعداد بأوصاف توزيعية للمجتمعات السكانية أكثر مما تمدنا بحقائق بنائية عن الجماعات والمواقف الاجتماعية، إذ يفتقر التعداد لإحصائيات تتعلق بالأسرة مثلاً. كما ترتبط معطيات التعداد بالتجمعات الاجتماعية أكثر مما تتعلق بالجماعات والتي يمكن الإفادة منها كمؤشرات على الخصائص البنائية إلاَّ أنَّ المعطيات من النوع الذي يحتاجه التحليل السكاني ليست متوفرة من حيث الشكل والكمية المناسبة في التعداد.
* ويتوقف صدق وثبات معطيات التعداد على القدرة على تحديد الأشخاص الين يجب أن نحصل منهم على المعلومات اللازمة، كما يتأثر الصدق بعدم رغبة أو عدم قدرة الأفراد الذين نجمع عنهم المعلومات الضرورية أو الشك في أهمية وضرورة التعداد وإدلائهم بإجابات متناقضة فيما يتعلق بأعمارهم، وهكذا لا تخلو الحقائق التي تجمع بواسطة التعداد من الغموض والإبهام، كما أنَّ هناك صعوبات كثيرة تواجه حصر هذه الحقائق إذ يعب وضع بعض الناس في فئات معينة أو يصعب تبويب بيانات النشاط الاقتصادي.